

الإيقانجليكيون.. والطريق الوسط

يقع الإيقانجليكيون - وهم ثالث شعبة رائدة في البروتستانتية الأمريكية - بين الأصوليين والليبراليين، ويشارك جوهر معتقداتهم مع الجذور العامة للأصولية، لكن تأثرت أفكارهم عن العالم - كثيراً - بقيم التفاؤل المستوطنة داخل المجتمع الأمريكي. وبرغم وجود اختلافات لاهوتية داخل هذه الجماعة، إلا أنها قد تشكلت بصفة عامة بـ «الكالفينية الناعمة» لللاهوتي الهولندي «جاكوب أرمينيوس» في القرن السادس عشر، وتأثرت كذلك بأفكار الإيقانجليكيين الإنجليز مثل «جون ويزلى» (الذى حمل تراث حركة التقوى الألمانية)، وفي الولايات المتحدة تأثرت بتجربة حركة الصحوة الكبرى، وما تلتها من حركات إحياء ديني متعاقبة في القرن الثامن عشر.

وتعد طائفة «مؤتمر المعمدانين الجنوبيين» هي الطائفة الرائدة في الولايات المتحدة، وهي أكبر طائفة أيضاً بأعضائها البالغين ١٦,٣ مليون عضو. أما الطائفة الإيقانجليكية التى تليها فى الحجم فهى «الكنائس الإفريقية الأمريكية» بما فيها «مؤتمر المعمدانية القومية فى الولايات المتحدة، ويليه مؤتمر المعمدانية فى أمريكا» التى تفيد التقارير أن كلاهما يضم قرابة ٥ ملايين عضو. وتعد كنيسة «الرب فى المسيح الأمريكية الإفريقية» بأعضائها البالغين ٥, ٥ ملايين عضو، أكبر طائفة خمسينية فى

البلاد، ثم «جمعيات الرب» سريعة النمو التى يبلغ أعضاؤها ٢,٧ مليون عضو، وهى أكبر طائفة خمسينية بدون غالبية سوداء. أما الكنيسة اللوثرية فى سنودس ميسورى والبالغ أعضاؤها ٢,٥ مليون عضو، فهى ثانى أكبر طائفة إيثانجليكية ذات سيادة بيضاء. ومثل الأصوليين، فإن الإيثانجليكيين البيض يتواجدون غالباً فى التجمعات المستقلة والطوائف الصغيرة. أما ما تسمى «منظمات شبه الكنائس» مثل «الحرم الصليبي للمسيح» و«المحافظون على العهد» و«مترجمو ويكليف للكتاب المقدس» فهم عادة ما يحلون محل أو يكملون أبنية الطوائف التقليدية بين الإيثانجليكيين.

يتشابه الإيثانجليكيون مع الأصوليين فى كثير من النواحي، فالإيثانجليكيون مثل الأصوليين يولون أهمية كبيرة للعقائد فى المسيحية وليس فقط للتعالم الأخلاقية. ويرى الإيثانجليكيون والأصوليون أن تأكيد الليبراليين على ترجمة الأخلاقيات إلى معتقد [بدلاً من المعتقدات اللاهوتية]، وأن العمل الطيب والوفاء بالقانون الأخلاقى هما الطريق إلى الله، يعد خيانة لرسالة المسيح. ويؤكدون على أن الإنسانية عاجزة تماماً عن الوفاء بأى قوانين أخلاقية بسبب الخطيئة الأصلية، وأن الاعتقاد بأن الرسالة الأساسية للمسيحية هى سعى الإنسان لإسعاد الرب باتباع الأخلاقيات السامية.. هو محتوم الفشل؛ فالذى يخلص الإنسان فقط هو صلب المسيح ثم قيامته. إن ما يعنيه الأصوليون الإيثانجليكيون بعبارة «يولد من جديد» هو القبول بطبيعة الإنسان الخاطئة، وقبول تضحية المسيح. وعندما يضع المسيحيون الليبراليون قضية الأخلاق فى مكان

القلب من لاهوتهم ، يتساءل الأصوليون والإيقانجليكيون إن كان هؤلاء الليبراليون يدركون المعنى الحقيقي للمسيحية .

يولى الإيقانجليكيون أهمية كبيرة للفرق بين من «خُلِّصُوا من الخطيئة» . ومن لم يُخَلِّصُوا» . وهم يعتقدون ، مثل الأصوليين ، أن من يموتون دون الاعتراف بالمسيح المخلص ، كُتِبَ عليهم الانفصال الأبدى عن الرب . وأن البشر الذين لم يُخَلِّصُوا من الخطيئة لا يمكنهم القيام بأى عمل طيب من تلقاء أنفسهم .

أخيراً فإن معظم الإيقانجليكيين (وليسوا جميعاً) يتفوقون مع الأصوليين فى رؤيتهم لنهاية العالم . بينما يعتقدون جميعاً أن نبوءات الكتاب المقدس سوف تتحقق ، ويتفق السواد الأعظم منهم مع الأصوليين على المرحلة المسماة «قبل الألفية» : أى الاعتقاد بأن المجيء الثانى للمسيح سوف يسبق الألفية - المتنبأ بها - من عصر السلام . وعلى ذلك فإن كل جهود البشر لبناء عالم قائم على السلام ، ستفشل .

بعد عرض أوجه الشبه السابقة ، لم يعد مستغرباً أن يخلط كثير من المراقبين بين الإيقانجليكيين والأصوليين ، ظناً منهم أن الأوائل صورة مخففة من الأواخر . إلا أن هناك اختلافات مهمة بين الأصوليين والإيقانجليكيين فى رؤية العالم . وبرغم أن موقف اللاهوت من هذه القضايا تقنى جداً وبفوارق لا تكاد تذكر ، إلا أن الإيقانجليكيين يميلون إلى الماضى تحت تأثير شكل مبهم من الكالڤينية . وبينما الموقف المتشدد هو أن تضحية المسيح فوق الصليب تمت من أجل خلاص عدد قليل من الأرواح التى عزم الرب على إنقاذها ، ولا أمل للآخرين فى الخلاص .

نفسياً وعقائدياً، لدى الإيقانجليكيين الأمريكيين - بشكل عام - رؤية أقل قتامة من الأصوليين، فهم يعتقدون أن «الخلاص» متاح لكل الناس، وأن الرب يمنح كل إنسان ما يكفيه من نعم إلهية تمكنه من اختيار الخلاص إذا أراد. تقسم عقيدة الكالفينيين الصارمة البشرية إلى معسكرين يجمع بينهما القليل. وفي رأى الإيقانجليكية السائدة أن الرب يحب كل الأرواح، ويحزن إن ضلت إحداها وأنه يسعى لإنقاذ كل الأرواح.

يعلن كل المسيحيين، أصوليين أو ليبراليين أو إيقانجليكيين - على الأقل رسمياً - مسئولية إظهار مشاعر الحب والرحمة تجاه كل إنسان مسيحياً كان أو غير مسيحي. وهذا الأمر له أهمية خاصة عند الإيقانجليكيين الذين يؤمنون بأنه يمكن إنقاذ البلائين من الأرواح الهالكة. من أجل المسيح. والدليل على ذلك ما يقدمونه كل يوم من مساعدة للمحتاجين، وفعالية اتباعهم للأناجيل، وبذلك يمكن إعادة الأرواح الضالة إلى المسيح مرة أخرى والمساعدة على تنفيذ الخطة الإلهية. وبذلك يعزز الإيقانجليكيون رسالة المسئولية المسيحية إلى العالم. ونتيجة لذلك، فعادة ما يفتح الإيقانجليكيون على العمل مع غير المؤمنين، بل ويتطلعون إلى ذلك العمل الاجتماعى فى مشروعات تهدف إلى رخاء البشرية، حتى وإن ظلوا على اعتقادهم بأن الذين يرفضون المسيح لا يمكن اتحادهم بالرب بعد الموت.

من الصعب التنبؤ بما سيفعله الإيقانجليكيون. أظهرت استطلاعات الرأى الأخيرة أن أغلبية معتبرة من الأمريكيين يرفضون نظرية «النشوء والارتقاء» لـ (داروين). شحذ الصحفيون والمثقفون داخل الولايات

المتحدة وخارجها قواهم لشن هجوم ضار على العلوم الداروينية ، وإن كان غير وشيك ، فلطالما رفض الرأي العام الأمريكى الداروينية . ومع ذلك ، وحتى فى ولايات مثل ألاباما وميسيسيبى وكارولينا الجنوبية ، والتى تضم تعداداً كبيراً ونشطاً من السكان المسيحيين ، فإن جامعاتها ماضية فى تدريس علم الفلك وعلم الوراثة وعلم طبقات الأرض وعلم الحفريات دون اهتمام بعلم الكونيات الدينى ، مع استمرار الولايات المتحدة فى دعم أكثر الجماعات العلمية نجاحاً فى العالم . لا يشعر معظم الإيقانجليكيين بغرابة ذلك التناقض ، ولا يرغبون فى تغييره ، عكس الأصوليين ، فالنفعية فى ثقافة الولايات المتحدة تتحد مع ما يمكن اعتباره التوجه الدينى الإيقانجليكى المضاد للثقافة ؛ لخلق نوع من التسامح واسع الانتشار مع مستوى من التنافر المعرفى الذى قد لا يتسامح معه البعض . وفى القرن السابع عشر ، عارضت هارفارد البيوريتانية كوبرنيكس (*) . أما اليوم فإن أمريكا الإيقانجليكية راضية تماماً عن أن يبقى التناقض بين تاريخ الكتاب المقدس . . وسجل الحفريات ، بدون حل !! وما لا يقبله الإيقانجليكيون ما يسميه البعض مذهب «العلمية» ؛ أى محاولة فرض تعليم «النشوء والارتقاء» أو أى موضوع آخر . بطريقة تلغى إمكانية وجود الله وفعاليته .

يتفاهل الإيقانجليكيون - أكثر من الأصوليين - بالتقدم الأخلاقى . إن أقلية «ما بعد الألفية» (التي تعتقد أن المسيح سيعود مرة أخرى بعد ألف سنة من السلام العالمى وليس قبل ذلك) تؤمن بأن هذه العملية

(*) فى قوله أن الأرض تدور حول الشمس - المترجم .

الإصلاحية يمكن أن تستمر حتى يصل المجتمع الإنسانى إلى درجة من القداسة، مؤداها: أن التقدم الدينى للأفراد والمجتمعات يمكن أن يبلغ ذروته بإنشاء مملكة السلام، بعد عملية الإصلاح التدريجى . إذن هذه رؤية تاريخية تنسجم مع تفاؤلية المسيحيين الليبراليين . وقد عمل كل من الإيقانجليكيين والمسيحيين الليبراليين معاً فى كثير من المساعى من أجل التقدم الأخلاقى داخل الوطن وخارجه عبر فترات مختلفة من التاريخ الأمريكى . وبرغم أن أكثرية «ما قبل الألفية»^(*) تشعر بقليل من التفاؤل تجاه النجاح المطلق لهذه المساعى ، فإن الإيقانجليكيين الأمريكيين يتمسكون بتفاؤلهم تجاه التحسن الإنسانى .

فى كتابه الذى صدر عام ٢٠٠٥م تحت عنوان «تخيل !! أمريكا المباركة . . كيف يمكن حدوث ذلك؟ وما يجب أن تكون عليه؟» يصف الإيقانجليكى المحافظ ريتشارد لاند ، ويرر هذا التفاؤل الإيقانجليكى بقوله : «أعتقد أنه يمكن حدوث صحوّة أخرى كبرى فى بلادنا . . أى بعث للأمة كلها . فالكتاب المقدس يقول لنا . . لا أحد لا يعرف يقيناً فى أى يوم أو فى أى ساعة يعود المسيح . وبالتالي لا يجب أن نتخلى عن العالم ونتركه فى شقائه . كما لا يوجد موضع فى الكتاب المقدس يطلب منا أن نحشد متشائمين فى جيتو مسيحى . . محاولين اختطاف المتحولين [للمسيحية] من العالم .»

* * *

(*) «ما قبل الألفية» هى عقيدة المجرى الثانى للمسيح قبل الألفية السعيدة ، بل ذلك المجرى هو الشرط والبشارة ببدء تلك الألفية - المترجم .